ذكرى ميلاد

تستعيد هذه الزاوية شخصية ثقافية عربية او عالمية بمناسبة ذكرى ميلادها، في محاولة لإضاءة جوانب اخرى من شخصيتها او من عوالمها الإبداعية. تصادف اليوم، الثامن من ابريل/ نيسان، ذكرى ميلاد الكاتب الرومانيّ - الفرنسيّ إميل سيوران (1911 - 1995)

شوقي بن حسن

على أيّ هوى وقع أحد أكبر «أساتذة اليأس» في زمننا كي يجد استقبالاً عربياً مُرحّباً؟ ربما ما يفسّر الطلب على إميل سيوران (1911 - 1995) هو اليأس نفسه. وها أنّ ترجماته العربية تتتالى، وآخرها «تمارين في الإعجاب» (2020)، مرّة أخرى، يصل سيوران إلى لغة الضاد من خلال الشاعر التونسي أدم فتحي (وعن منشورات «الجمل»)، كخامس عمل يترجمه فتحي لسيوران بعد «تاريخ ويوتوبيا» (2010)، و«المياه كلّها بلون الغرق» (2013)، و«مثالب الولادة» (2015)، و«اعترافات ولعنات» (2018).

يمكن أن نضع ترتيب الترجمات هذا في مقارنة مع سلّم سنوات الإصدار الأصلية، فنجد أنّ هذه الأعمال ملتقطةٌ من فترات متعدّدة من مشوار سيوران الإبداعي، لكنّها لا تتيح أن نلامس تطوّرات الكاتب الرومانيّ - الفرنسيّ. فقد صدر «تاريخ يوتوبيا» أوّل مرة عام 1960، وظهر كتاب «المياه كلها بلون الغرق» كخيار عنونةٍ مختلف عن العنوان الأصلي «مقايسات المرارة»، وقد صدر في 1952، فيما نشر سيوران «مثالب الولادة» عام 1973، وكان «تمارين في الإعجاب» و«اعترافات ولعنات» من كتاباته المتأخرة، فقد نُشرا في 1986 و1987.

لم تلامس سلسلة ترجمات أدم فتحي، حتى الآن على الأقل، بعضَ «مناطق» صاحب «سقوط في الزمن»، أهمّها مرحلة التشكّلات الأولى، والتي اعتمد فيها سيوران لغته الأمّ في أعمال مثل «على قمم اليأس» (صدر في 1934)، و«كتاب المغالطات» (1936)، و«دموع وقدّيسون» (1937)، و«غسق الأفكار» (1940)، وهي منطقة يجوبها منذ سنوات شاعر تونسيّ آخر هو عبد الوهاب الملوّح، الذي نقل إلى العربية العملين الأخيرين. ولعلّه من الجدير أن نلاحظ أنّ هذه الأعمال لم تحظ بإشعاع عربي مثل ذاك الذي حظيت به ترجمات فتحي.

ونلاحظ هنا أنّ الفترة الرومانية ثريّة جداً. وقد نفسّر تأخّر وصول هذه الأعمال إلى العربية بكونها أتت بلسان ثقافة لم يمدّ العرب معها الكثير من الجسور، لكنّ هذه الأعمال وصلت إلى الفرنسية بعد سنوات ولم يعد من الممكن فصلها عن بقية مدوّنة سيوران. وأبعد من ذلك، يصعب تفسير سياقات هذه الأعمال، حيث تحتاج إلى معرفة بتاريخ رومانيا الثقافي على أنّ معظم الترجمات العربية - لا ترجمات سيوران وحدها - تكتفي بنقل النصوص من دون عناية كبيرة بالتّربة التي نبتت فيها، وذلك جهدٌ ضروري لفهم كيفية تبلْور مشروع سيوران في مجمله، فالأعمال الرومانية تبدو كمخطّطات وضعها مبكراً وسار عليها في بقيّة مشواره الفرنسي.

وعلى الرغم من جهود أدم فتحي في المنطقة الفرنسية من مدوّنة سيوران، وعبد الوهاب الملوّح في الفضاء الروماني الأوّل، فإنّ إشكاليّة كبرى من إشكاليات مدوّنة سيوران لم تُفكّك في الثقافة العربية بعد. ما الذي حدث بين 1944، تاريخ آخر إصدار بالرومانية لسيوران («أدعية المهزومين»)، و1949، حين وضع أوّل أعماله بالفرنسية، «موجز التحلّل»؟

هل يمكن أن نختزل الإجابة بتغيير سيوران لمكان إقامته؟ لكنّ المؤلّف وصل فرنسا في 1937. هل هي رغبة في التموقع في الفضاء الثقافي الجديد؟ وهل يكفي استعمال اللغة الفرنسية وحده كي يدخل كاتبٌ إلى منطقة الضوء (سؤال يخصّ الثقافة العربية أيضاً)؟

من الجدير أن نشير هنا إلى أن أوّل ناشر لسيوران كان «دار غاليمار»، وهي واحدة من أبرز دور النشر في منظومة الكتاب الفرنسي. على الأرجح أنّ سبب حسن الاستقبال الفرنسي هو ذاته السبب العربي. ضرب سيوران على وتر يحبّ أن يسمع الجميع أنغامه الحزينة؛ جعل من اليأس والكآبة والسخرية المُرّة - وهي عناصر من الأمر الواقع - ثيمات أدبية/ فكرية. ثمّ، إنّ كتابة سيوران لا تحتاج قارئاً متفرّغاً، فاشتغاله على البنية الشذرية كان في حدّ ذاته تعبيراً عن حالة من التشظّي في الواقع وجدت بسرعة آذاناً صاغية حين أدمجها المؤلّف وناشروه. ولقد استطاع سيوران أن يخلخل ذلك الربط الجاهز بين الكتابة الشذرية والفيلسوف الألماني نيتشه، حاملاً هذا الشكل إلى أفق أوسع، وكان اشتغاله المتواصل عليه سبباً آخر من أسباب امتلاك صنعته، حتى أنّ نجاحات كتاباته كانت مثل دعوة ضمنية لانتشار الكتابة الشذرية. حدث ذلك في الثقافة الفرنسية، والأمر نفسه في العربية، وإن بدت النتيجة هزيلة هنا، فقد بقي معظم ما يكتب ضمن هذا الشكل تابعاً من استسهاله. هنا، يمكن أن نقف على سبب آخر من أسباب الاعتناء بسيوران في ثقافتنا، وهو أنّه يبعث رغبةً في محاكاته، شكليّاً من جهة، ومضمونياً من أخرى، حين يعتقد البعض أنّ في الإيغال في التشاؤم ودَمْ الحياة والواقع ضمانةً لإنتاج كتابة فكرية، كما يعتقد آخرون أنّ الكتابة الشذرية وحدها ضمانة كي يكون الأدب أو الفكر ثورياً.

هذه الظواهر المحاكاتية تحتاج إلى نظر عميق في ثقافتنا، فهي تفسّر الكثير من البات الإنتاج الإبداعي. ليس الأمر متعلّقاً بسيوران وحده. لنعد بالذاكرة إلى ما فعله المؤلّف في مقاربته لبناء نصوصه. عبر الشذرة، بدأ سيوران يلامس كلّ شيء مما يدور في الحياة؛ يستطيع أن يتأمّل الحرب أو غربته الذاتية، ويمكنه أن ينقد الشعر، ثم يعود بالذاكرة معلّقاً على فكرة فلسفية قرأها. هذه الإنتاج الإبداعي ليس الأمر متعلّقاً باختياره، تحوّلت إلى استثمار أدبي التقطه

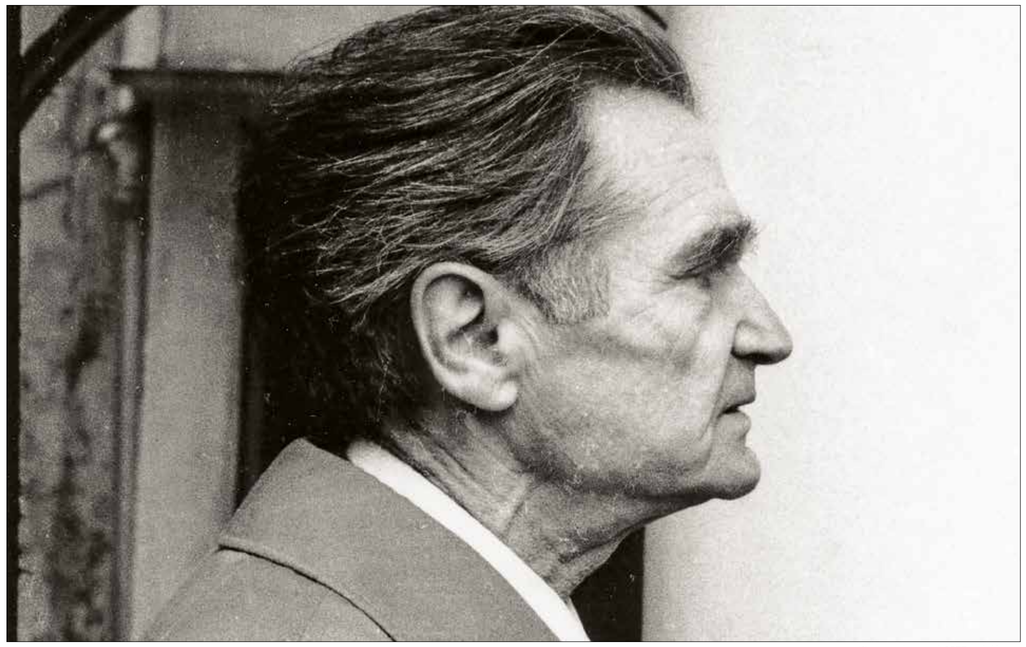

سيوران في 1977 (لوي مونييه، Getty)

> انتج رغبة بمحاكاة اسلوبه الشذري لكن بلا ابعاده الفكرية

> لا يزال يصل إلى العربية عبر ترجمات انتقائية يضعها شعراء

إميل سيوران آذان تصغي إلى اليأس

تمارين عربية في المحاكاة

صحبة العزلة

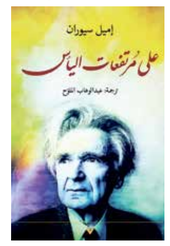

ولد إيميل سيوران في قرية رازيناري، إحدى قرى ترانسيلفانيا الرومانية، وكانت وقتها تابعة للإمبراطورية النمساوية - المجرية. درس الفلسفة في بوخارست، وكان الأرق الذي لازمه منذ شبابه المبكّر سبباً في اشتغاله على فلاسفة مثل نيتشه وبرغسون وشوبنهاور، وقد تواصل تأثيرهم عليه وعلى كتاباته طوال حياته، حتى حين استقر نهائيا في فرنسا التي عرف فيها شهرة أدبية، لكنها لم تُخرجه من عُزلته، بما فيها من رفض للجوائز الأدبية.

قصائد

يزورني الحظّ لكنّه لا يدخل غرفتي

تستريح الأرض من كلامنا

مصعب ابو توهة

سريالية البحر 1

الريح بنت الصدفة،
والشراع تلميذٌ غافل
في ساحة المدرسة
وقت الاستراحة.

الغيم سقفٌ يبحث عن أرضية ثابتة،
والسفينة قطارات من خشب.
الموج عربات قطار عالق بين جدارين،
ورمال الشاطئ ينحسر عنها الماء،
تمدّ لسانها العطِش،
لا تيأس ولا يصيبها التعب.

■■■

سريالية البحر 2

أمّا ذاكرتي فتخبّرني:
هل تستطيع أن تنسى شوارع
نامت جفونُ الخوف فيها؟
هل تستطيع أن تنسى أسماء الكتب
على الأرفف الوَجِلة بعد أن سقطت
مع بكاء الأطفال في ليل القصف؟
أم هل تتذكّر رقم الهاتف الذي رَمَتْ به
فتاةٌ في ورقة المحارم بعد حفل التخرّج؟
كانت تعتقد أنّك ستحصل على وظيفة
لشدّة ذكائك،
لكنّها لم تكن تعلم أنّ الحظّ أذكى من
الاجتهاد.

يزورني الحظّ لكنه لا يدخل غرفتي.
هل عليّ أن أرش عطراً أستدرجُه به؟
أيّ نوعٍ يغويه؟
عندنا نوعان من العطور فقط:
رائحةُ فم الجوعى،
وهناك رائحةٌ مستوردة مخلوطة من
شيئين:
فحم الشواء في الصيف
والثلج في الشتاء.
والريشة تداعبها الرياح وتتمايل على
التراب
كأنّما تكتب حظّي في الحياة.
تهبُّ الرياح مراراً وتمحو حظي.
طار الحظّ إلى دائرة الخفاء،
والريشة أخذها الحبيبُ ووضعها
في خصلةٍ من شعر محبوبته.
يا حظّي السعيد، قلتُ لنفسي.

أقصدُ المكان الذي جلس فيه الحبيبان،
وأدعو أن تهبط الحمامة وأطعمها من
بُذور أملي،
لعلّها تشفق عليّ وتشفع لي عند
صاحبها،
وأغدو بائعاً للقصائد في سوق المُحبّين.

تأتيني الحمامة وتعطيني ريشة ذهبيّة
من أحد فراخها،
وتقول لي:
«لو كتبتَ ما سوف تكتب، سيكون نفْس
الذي
كتبتَه الريشةُ الأولى عند الممرّ الضّيّق
قبل أن تمحوه الرياح».
تذهب الحمامة، وقبل أن تصل إلى دائرة
الخفاء،
يصرخ صوتي وتسمعه الحمامة قبلي:
هل يمكن فقط أن أكتب اسمي على
رخامةٍ ويكون ما يكون؟
هل يمكن أن أعيش ساعةً من الموت
الأبدي
وأحيا كحَجَر على قارعة الطريق
يضعه بائعُ الذرة الصفراء خلف عجال
عربته
وهو يصعد التلة كيلا تنحدر العربة
مع كلّ هبّة رياح صيفية؟
هل يمكن أن...؟

(شاعر من فلسطين)

الريشة والحظّ

ريشةُ الحمامة الصاعدةِ إلى دائرة
الخفاء
تزورها عَيْنُ وردةٍ جوريةٍ في الممرّ
الضيّق
بجانب المبنى القديم.
يتزلّج الحبيب مع الحبيبة
على ثلج الذكريات الجميلة.

أمّا ذاكرتي فتخبّرني:
هل تستطيع أن تنسى شوارع
نامت جفونُ الخوف فيها؟
هل تستطيع أن تنسى أسماء الكتب
على الأرفف الوَجِلة بعد أن سقطت
مع بكاء الأطفال في ليل القصف؟
أم هل تتذكّر رقم الهاتف الذي رَمَتْ به
فتاةٌ في ورقة المحارم بعد حفل التخرّج؟
كانت تعتقد أنّك ستحصل على وظيفة

في الليل تستريح الأرض من كلامنا.
في الليل تستريح السماء من رؤيتنا.
في الليل يُرخي النهار ظهره
ويتمدّد فوق فراشنا ويسخر من
أحلامنا.

■■■

في الليل

في الليل يتسلّق البرد على نوافذ
المُشرّدين،
ويعود الصمت إلى الشوارع بعد أن
تخلو
من الباعة وصراخهم واستجداءات
المتسوّلين،
ومن مذياع الأخبار فوق حجر من رمل.

في الليل يزداد الظلام بريقاً،
يسرق من الجدران طلاءها،
ومن الأبواب أجراسها،
ومن أسطح البنايات خزّانات المياه،
يشربها على مهل
ويثمل قرب نادٍ ليلي،
على ثيابه ألوان غير متناسقة،
يغنّي كلاماً لا يفهمه سوى الباب.

في الليل تتساوى المسافات.
لا يهمّ إن كنتَ جالساً تحت شجرة
أو وسط مقبرة.
في الليل تتسارع الأوقات
عندما يتحادث المحبّان.
في الليل يزحف الوقت
عندما يطول الانتظار.

في الليل أكمل قصيدتي
تحت ضوء شمعة.
تنطفئ شمعتي فتتطاير الكلمات من
قلمي.
تنغلق الورقة على نفسها
كيلا تهرب الكلمات خوفاً.

«زيارة غويير الثانية» لـ ماركو دل راي (زيت على قماش، 1981)

كتاب

الطوبونيميا النبطيّة في تفسير اسم المكان

استشارة اللغة لفهم الجغرافيا

يساهم كتاب «الطوبونيميا النبطيّة» الصادر حديثاً، في رفد المادة المعجميّة للهجة آرامية ظلّت متداولة حتى القرن الرابع الميلادي

محمود منير

مع اكتشاف جوهان لودفيغ بركهارت مدينة البتراء في جنوب الأردن، عام 1812، بدأت الدراسات حول حضارة الأنباط التي امتدّت بين سيناء والأردن، شمال شبه الجزيرة العربية. من بين هذه الدراسات ما وُضع حول لغة الأنباط، التي عُدّت وثيقة الصلة بالآرامية، التي تعود جذورها إلى اللغة الكنعانية، وهي تتشابه مع الحرف العربي، إذ تُكتب هذه اللغات من اليمين إلى اليسار، بحروف منفصلة، لكنّها لا تخضع لقواعد الإعراب.

«الطوبونيميا النبطيّة: دراسة في أسماء المواقع الجغرافيّة في ضوء المصادر التاريخيّة ومخطوطات البحر الميّت» عنوان الكتاب الذي صدر حديثاً للباحثين الأردنيّين زياد مهدي السلامين، وإخلاص خالد القنانوة، ويُعنى بتفسير اسم المكان وبيان دلالاته اللغوية. يستعير المؤلّفان عنوان كتابهما من اللفظة اليونانية «طوبونيميا»، بمعنى «اسم مكان»، وهو فرع من فروع علم دراسة الأسماء (الأونوماستيكس) عموماً، ويختصّ بتتبّع أصول وجذور واشتقاقات وأشكال الصيَغ المختلفة لأسماء المواضع الجغرافية، في محاولة لفهم سياقات التسمية المختلفة؛ اللغوية والتاريخية والدينية.

ويعدّ الكتاب دراسة لغوية تاريخية لأسماء المواضع الجغرافية الواردة في الكتابات النبطيّة (النقوش والبرديات)، بالإضافة إلى الأسماء المنسوبة إلى مواضع جغرافية، والواردة أيضاً في الشواهد الكتابية النبطيّة، والأسماء الجغرافية وأسماء الشعوب والقبائل التي وُسمت بالنبطيّة، أو اتّصلت بالأنباط بصورة أو بأخرى، في المصادر والكتابات التاريخية الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية).

تقول إخلاص القنانوة، في حديثها إلى «العربي الجديد» إنّ «أهمية هذا النوع من الدراسات تكمن في محاولتها التعمّق في فهم الأصول اللغوية لأسماء الأماكن ودلالتها؛ فأسماء الأماكن تتّسم بالمحافظة، أي أنّها تحتفظ بصيغها في أغلب الأحيان، كما أنّ مثل هذه الدراسات يُساهم في رفد المادة المعجمية للغة أو لهجة بعينها (ونحن نتحدّث هنا عن إحدى اللهجات الآرامية) بمادّة قد لا تكون قد صُنّفت قبل الآن». وتُوضح أنّ «التوسع في المقارنات اللغوية لتشتمل على لغات ولهجات في سياق جغرافي أوسع، يعني فهماً أعمق وأشمل للسياقات الحضارية للمكان».

تشير المؤلّفة المشاركة إلى أنّه «تمّ تصنيف فئتين أساسيّتين لأسماء الأماكن؛ الأولى تشمل الأسماء المذكورة بصورة مباشرة، مثل رقمو (الاسم النبطي لبترا) والحجر (مدائن صالح) وايلة (العقبة) وغيرها؛ أما الثانية، فعُنيت بالأسماء المنسوبة إلى أسماء أماكن مثل تيما وعمّان وعين جدي (على الساحل الغربي للبحر الميت) ومصر وسواها». وتضيف أنّ الكتاب «يعتني بالبحث في المصادر التاريخية الكلاسيكية عن الأسماء الجغرافية وأسماء الشعوب والقبائل التي وُسمت بالنبطيّة، أو اتصلت بالأنباط بصورة أو بأخرى».

> يسعى الكتاب إلى فهم أعمق وأشمل للسياقات الحضارية للمكان

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

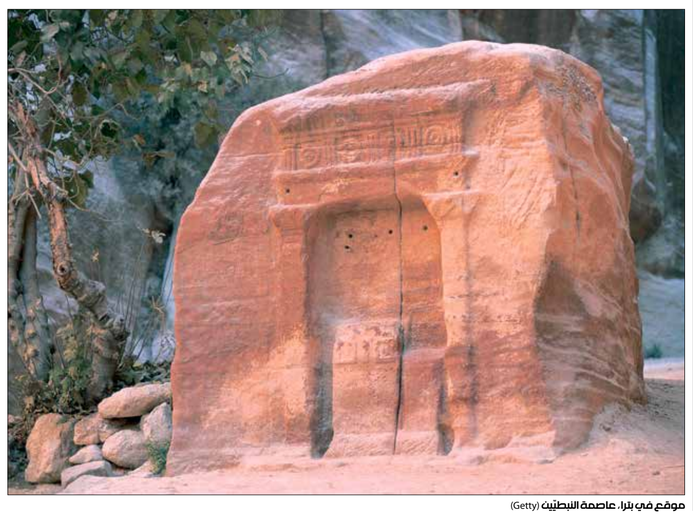

موقع في بترا، عاصمة النبطيّين (Getty)

فعاليات

بعد ظهر اليوم، ينظّم «**مركز الإبداع الرقمي**» (فرنسا) ضمن سلسلة «تحوّلات» نقاشاً عبر تطبيقات التواصل موضوعه **الكتاب في العصر الرقمي**. ينطلق النقاش من محاضرتين: «استعمالات الكتاب الرقمي في السياقات التعليمية» لـ **لوري بيدار** و**جوزيه بورتلنس**، و«إعادة اختراع الكتاب المدرسي» لـ **ستيف ليماي**.

تختتم اليوم الندوة العلمية **الضمني في الكلام والادب والفكر** التي انطلقت منذ يومين بتنظيم من **جامعة صفاقس** (على الساحل الشرقي لتونس). يتضمّن اليوم الختامي اربع محاضرات: «المؤلف الضمني في القصص» لـ **محمد الخبو** (الصورة)، و«مظاهر الاحتياط لدى المتكلم» لـ **صحبي معزوي**، و«الخطاب الضمني بناء تاويليا» لـ **الفة بن رشيدة**، و«ضمنيات الشعر المعاصر» لـ **حنان بن عمر**.

الفيّة كتاب المناظر للحسن بن الهيثم عنوان محاضرة ينظّمها **مركز المخطوطات** في «مكتبة الإسكندرية» عند الحادية عشرة من صباح اليوم الخميس، بتوقيت القاهرة، ويتحدث فيها كلٌّ من الأكاديميين **محمد علي الجندي**، و**فاطمة إسماعيل**، و**ماهر عبد القادر محمد علي**، و**محمد احمد السيد**، و**زبيدة بن مسي**.

تلقي المفكّرة الاميركية **جوديث بتلر** (الصورة) محاضرة بعنوان **الديون، الشعور بالذنب، المسؤولية والالتزام** عند الخامسة من مساء الثلاثاء المقبل، بتوقيت نيويورك. المحاضرة التي ينظّمها **مركز بيمبروك** بـ«جامعة براون» تحاول فك العلاقة الوثيقة بين الاستدانة والشعور بالذنب لدى الطلاب الجامعيين.